مفاليس الآخرة

🔺 قال الله -تعالى-:
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

🔺 قال رسول الله ﷺ:
«مَنْ ماتَ وعليْهِ دِينارٌ أوْ دِرْهَمٌ، قُضِيَ من حسناتِه، ليْسَ ثَمَّ دِينارٌ ولا دِرهَمٌ».

🔺 حياتنا بعد الموت ليس ثَمَّ فيها دينار ولا دِرهم، ليس ثم إلا الحسنات والسيئات؛ ليس هناك مال يدفع، ولا أصول تباع، وليس هناك من يقرضك من أحبتك؛ فـ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

🔺 ولكن ثمن سدادك بعد مماتك: حسناتك، فإذا فَنِيَتْ حَسَناتُك عن سداد دينك - أي: لم تقضِ حسناتك ما عليك من دينٍ- أصبحتَ هنا مفلسًا، سيطرَحُ عليك -عدلًا من الله- مِن سَيِّئاتِ مقرضك الذي سألته في الدنيا من حر ماله فأقرضك تفضلًا منه وتكرمًا ولم تقم بوفائه، فتنبه!

🔺 أيها المدين، اسأل الله تعالى بهذا الدعاء إذا أصبَحتَ وإذا أمسَيتَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجَالِ».
معنى ضلع الدين: حِمل الدَّين وثقله وشدته ومؤونته على قلب المدين، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرَّجلَ إذا غرِمَ (استدان) حدَّثَ فكذَبَ، وَوعدَ فأخلفَ».

🔺 ولا بد للمدين أن يعمل بجهد وجِد وصدق في الليل والنهار ليسد دينه، فلا يعجز ولا يكسل في بذل الأسباب الحقيقية لكسب المال ليسد دينه، وليتذكر المدين أن الموت لن يُبرئ مسؤوليته من دَينه عند الله -تعالى- في حال تفريطه وكسله مع قدرته،

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أخَذَ أمْوالَ النَّاسِ يُرِيدُ أداءَها أدَّى اللهُ عنْه، ومَن أخَذَ يُرِيدُ إتْلافَها أتْلَفَهُ اللهُ».

▲ قال البخاري -رحمه الله- في "صحيحه":
مَنْ تَصَدَّقَ وَهُوَ مُحْتَاجٌ، أَوْ أَهْلُهُ مُحْتَاجٌ، أَوْ عَلَيْهِ دَيْنٌ: فَالدَّيْنُ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْعِتْقِ وَالْهِبَةِ، وَهُوَ رَدٌّ عَلَيْهِ؛ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُتْلِفَ أَمْوَالَ النَّاسِ.

▲ سداد الدين أمر عظيم، فعن جابرٍ -رضِيَ اللهُ عنه- قال: أُتِيَ بميِّتٍ (بمسلم للصَّلاةِ عليه) فسألَ (أي: رسول الله ﷺ): «أعليه دَينٌ؟» فقال أصحابُه -رضي الله عنهم أجمعين-: نعمْ، عليه دِيناران. فقال رسول الله ﷺ: «صَلُّوا على صاحبِكم». انظر إلى سؤال النبي ﷺ تحديدًا، توجه سؤاله عن «الدين» ولم يسأل ﷺ عن شيء آخر؛ لعظم حقوق الخلق، فلما علم ﷺ أن الميت عليه دين لم يصل عليه، نسأل الله العافية والسلامة.

▲ وعن محمد بن عبد الله بن جحش -رضي الله عنه- قال: كنَّا جلوسًا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، فرَفَعَ رأسَه إلى السماءِ، ثم وضَعَ راحتَه على جبهتِه، ثم قال: «سبحان اللهِ، ماذا نزَلَ مِن التَّشْدِيدِ!» فسَكَتْنَا وفَزِعْنَا، فلما كان مِن الغدِ سألْتُه: يا رسولَ اللهِ، ما هذا التشديدُ الذي نزَلَ؟ فقال: «والذي نفسي بيدِه، لو أن رجلًا قُتِلَ في سبيلِ اللهِ ثم أُحْيِيَ، ثم قُتِلَ ثم أُحْيِيَ، ثم قُتِلَ، وعليه دَيْنٌ، ما دخَلَ الجنةَ حتى يُقْضَى عنه دَيْنُه».

▲ أيها المسلم، حياتك ساعات وفرص، فاغتنم فيها شبابك قبل هرمك، واغتنم صحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.

▲ لا تكن يا عبد الله مفلسًا في آخرتك، قال رسول الله ﷺ:
«أتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟» قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: «إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ وصِيامٍ وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا وقَذَفَ هذا وأَكَلَ مالَ

هذا وسَفَكَ دَمَ هذا وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ».

▲ قال الله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

▲ فعلى المسلم وجوبًا شرعيًّا أن يتحلل دائمًا في الدنيا من مظالمه الدنيوية الظاهرة والباطنة؛ ومن ذلك: إيذاء غيرك، فإن إيذاء المسلم يعد كبيرة من الكبائر، وسبيل للإفلاس في الآخرة.

▲ ومن عظائم الأمور -نسأل الله السلامة- الاعتداءات الظالمة عَلَنًا أو خُفْيَةً، ولو بكلمة واحدة، بل وإن كان فاعلها ظاهره التديّن؛ فهو صاحب صلاة وصوم وصدقة وقرآن وعلم وعبادة وطاعة، كما بين ذلك رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟! فَقَالَ: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ. فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ (واحدة) أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

▲ وانظر كذلك إلى هذه العِظة والعِبرة من خلال أسئلة الصحابة -حملة بيان الدين من فِيِّ النبي ﷺ- وهم يسألون رسول الله ﷺ، كما في الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قيلَ للنَّبيِّ ﷺ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ فلانةَ تقومُ اللَّيلَ وتَصومُ النَّهارَ وتفعلُ (أي: تفعل الكثير من الطاعات والعبادات لله -تعالى-) وتصدَّقُ، (ولكنها) وتُؤذي جيرانَها بلِسانِها؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا خَيرَ فيها، هيَ من أهلِ النَّارِ»، قالوا -رضي الله عنهم-

: وفُلانةُ تصلِّي المكتوبةَ، وتصدَّقُ بأثوارٍ (من الأقط)، ولا تُؤذي أحدًا؟ فقال رسولُ اللهِ: «هيَ من أهلِ الجنَّةِ».

🔺 من حكمة الصحابة -رضي الله عنهم- في فهم الدين لأنفسهم ولأمة الإسلام من بعدهم: سؤالهم -رضي الله عنهم- لرسول الله ﷺ عن حال الامرأتين: المؤذية صاحبة العبادة، ومن لا تؤذي أحدًا وهي مقتصدة العبادة؛ فالصحابة نظروا إلى عظم الأمر من حيث مقاصد الشرع والدين، وحقوق الآدَمِيين، وبضدها تتمايز الأشياء وتتضح. قال رسول الله ﷺ: «تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك».

🔺 قال -تعالى-: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

كتبه: محمد عثمان العنجري
السبت ٢١ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ
الموافق ٢٠٢٣/١/١٤م